الفصل الأول
الشيخ إبراهيم عزت

سيرة حياته وملامح شخصيته

ولد **إبراهيم عزت محمد سليمان** عام 1939م في مدينة سوهاج بصعيد مصر، وكان ثاني ولد لأبيه محمد سليمان.. بعد أخ له اسمه أحمد وقد مات في المهد.

كان الأب يعمل مفتشاً في التعليم الصناعي بوزارة التربية والتعليم، وكانت أمه على علم وخلق ودين، وبين هذين الوالدين نما إبراهيم عزت واشتد عوده.

ولظروف العمل اضطر الأب أن ينتقل بأسرته إلى طنطا، وهناك التحق إبراهيم بإحدى مدارسها الابتدائية. وانتظم بالدراسة، إلى أن اضطر الأب ثانية أن ينتقل إلى القاهرة، فسكن بحي الزيتون، بينما التحق إبراهيم بالمدرسة الثانوية بعين شمس، ليدخل بعد ذلك كلية التجارة بجامعة عين شمس إلى أن تخرج منها.

تم تجنيده ليخدم في الجيش، وفي تلك الأثناء تقدم لوظيفة مذيع في الإذاعة المصرية، ونجح في اجتياز الاختبارات التي أجريت له، وتم تعيينه، وقدم العديد من البرامج الدينية والثقافية مثل: « بيوت الله » و « دنيا الأدب » ثم عين في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، ورغم انشغاله بالدعوة إلى الله حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة الأزهر.

الحياة الدينية في مصر

انتهى الصراع بين ضباط الثورة والإخوان المسلمين بتلك المأساة التي حدثت عام 1954 والتي راح ضحيتها العشرات من أعضاء الجماعة، ما بين محكوم عليه بالإعدام، ومن مات من آثار التعذيب، وحكم على الباقين بالسجن ما بين خمس سنوات والمؤبد، ولكن لم يؤثر كل هذا التنكيل في شرارة الدعوة الإسلامية التي أطلقتها الجماعة، سواء في مصر، أم على مستوى العالم الإسلامي، أو على مستوى العالم. فقد كانت الشعوب في شوق دائم لمن يُذَكِّرُها بإسلامها.

جماعة التبليغ

وفي الهند كان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي قد طلع بفكرة جيدة، استهدفت توحيد المسلمين الهنود، بعد أن فرقتهم مكائد الاستعمار البريطاني، فأسس - يرحمه الله - « جماعة التبليغ ».

والكاندهلوي (1303 – 1346هـ/ 1882 – 1943م) كان يعد أحد علماء الهند الأفذاذ، تلقى تعليمه على كبار علماء بلاده في مدرسة «ديوبند» إحدى كبريات مدارس الأحناف في شبه القارة الهندية، وخلفه في قيادة الجماعة ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، مؤلف كتاب « حياة الصحابة » ثم خلفهما الشيخ إنعام الحسن، بعد وفاة الشيخ يوسف عام 1965م.

وتقوم جماعة التبليغ على دعوة المسلمين إلى العودة للالتزام بالإسلام، وقد وضع لها مؤسسها نظامًا يفرغ من خلاله أفرادها أوقاتًا للخروج لدعوة المسلمين، فينزلون في المساجد، وينفقون من أموالهم على دعوتهم، ويبتعدون كل البعد عن مواطن الخلاف.. معتبرين أن للخروج فائدة أساسية غير الدعوة؛ وهي تربية المسلم التربية العملية على الالتزام بالإسلام، ويعتقدون أنه بصلاح الأفراد يزول المنكر من المجتمع، ويعود الإسلام يظلل الحياة؛ ولذلك تراهم يبتعدون عن الحديث في شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية، أو الرد على الأفكار المعادية للإسلام.

وللتبليغيين تأثير جيد في جذب المسلمين إلى المساجد في أكثر بقاع الأرض بعد أن بدأت في الهند، وذلك بفضل جهود أهلها واجتهادهم [1].

وكانت الجماعة تتحين فرصة موسم الحج للتعرف على المسلمين، وتصدير فكرتها

---

(1) راجع: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض. و(الطريق إلى جماعة المسلمين) لحسين بن محمد علي بن جابر، و(مشكلات الدعوة والداعية) لفتحي يكن.

إلى البلاد الإسلامية، وهناك التقوا بوفد من المسلمين المصريين الذين اقتنع بعضهم بالفكرة وعلى رأسهم الشيخ **فريد العراقي** [1].

نقل الشيخ العراقي فكرة التبليغ إلى مصر. ورغم أجواء الصدام بين الإخوان والثورة استطاعت الفكرة أن تتجسد واقعًا على الساحة الإسلامية المصرية، حيث إن من مبادئها عدم التدخل في السياسة – ليس بمفهوم إنكار أن الاسلام منهج حياة، بل كنوع من أنواع الأولويات في العمل الإسلامي – وإن كان بعض أفرادها قد غفل عن هذا المعنى، فاعتبر أنه لا علاقة للسياسة بالدين [2] حرصًا على هذا المبدأ، وخوفاً على منع العمل من قبل الحكومات.

واستمرت الجماعة تعمل في الدعوة إلى الله في المجتمع المصري بجوار الجمعيات الأخرى مثل « الشبان المسلمين » و « الجمعية الشرعية » وبعض الجمعيات الحكومية، التي لا تتعرض من قريب أو بعيد لسياسة الحكومات.

إبراهيم عزت والتبليغ

كان إبراهيم عزت قد عبر أعوامه العشرين، وبدأ الشاب المتدين بفطرته وتربيته البحث عن سبيل ينقل به تدينه هذا من مجرد تدين فردي إلى عمل إصلاحي كما تعلم من ثوابت دينه: ﴿ **وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣** ﴾[العصر:1 – 3] فأخذ يتنقل بين الجمعيات والجماعات العاملة في ذلك الوقت، فتعرف على الجمعية الشرعية، ثم الشبان المسلمين، ثم بعض طرق التصوف، غير أنه لم يجد غايته في أي منها، فهو يريد إيمانًا متحركًا يتعدى إلى غيره، لا إيمان من يقول شعاره (**دع الخلق للخالق**).

لم تكن جماعة الإخوان المسلمين تستطيع أن تعلن عن نفسها، فقادتها داخل السجون.. يلاقون أشد أنواع التنكيل، وقد أصبحت العلاقات بين أفرادها مراقبة..

---

(1) تجاوز الشيخ فريد العراقي الثمانين من العمر، ويقيم في بلدته بمحافظة الشرقية، ولم ينقطع جهده عن الدعوة، أطال الله عمره ومتعه بالعافية.

(2) راجع كتاب (الطريق إلى جماعة المسلمين).

في وطن موضوع كله تحت المراقبة، فلم يستطع الفتى المشتاق أن يتصل بها اتصالاً يجعله ضمن أفرادها.

قام الشاب المؤمن **إبراهيم عزت** بدوره الدعوي في الإعلام المتاح وقتها، فكان أول من سخر الإعلام في الدعوة إلى الله؛ حيث وفقه الله تعالى إلى العمل مذيعًا في الإذاعة المصرية، لتكون برامجه التي يقدمها في « بيوت الله ».

ولكن الله كان يريد له ولجماعة التبليغ أمرًا آخر، حيث التقى بها، وتعرف على فكرها، فوجدها أقرب الجماعات إلى تحقيق مراده، في تحويل التدين الشخصي إلى تدين فاعل متحرك، يؤثر في الآخرين. وكان شعاره: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:33]، فانضم عزت إلى جماعة التبليغ عام 1963م.

مبادئ التبليغ

واستمر الفتى الشاب في دعوته، ينتقل بين المساجد، يحمل فرشه على كتفه، وزاده في يده، ينادي في الناس نداء رسول الله ﷺ: [**يَأَيُّهَا النَّاسُ: قُولُوا لا إِلَهَ إِلا الله، تُفْلِحُوا**].

كانت مبادئ الجماعة الستة دستوراً جيداً للعمل الدعوي استوعبه إبراهيم عزت، وكان بيانه الدعوي الذي يلقيه على الناس الذين يجمعهم في المسجد عقب الجولة، يدور حول هذه المبادئ التالية:

1- الكلمة الطيبة « لا إله إلا الله محمد رسول الله ».

2- الصلاة ذات الخضوع والخشوع.

3- العلم والذكر.

4- إكرام المسلمين.

5- الإخلاص.

6- الخروج في سبيل الله « للدعوة ».

وألزم عزت نفسه بثلاثة أمور تلتزم بها جماعة التبليغ ، وهي:

1- لا حديث في أمراض الأمة ومنكراتها.

2- لا حديث في الخلاف بين المسلمين، وخاصة الجماعات.

3- لا حديث ولا مشاركة في السياسة، وخاصة السياسة الداخلية للبلد، الذي يمارسون فيه الدعوة.

وكان هذا المنهج نوعاً من أنواع تفادي المواجهة، وإيجاد مناخ تستطيع فيه الدعوة أن تجد طريقها، في ظل حكومات أقلها لا ترضى بالإسلام حاكمًا. خاصة وأن الدعوة نشأت في بلاد الهند الوثنية حيث كان المسلمون أقلية، ولأن الدعوة إلى الإسلام لا تصلح أن تكون سِرِّيَّة. فالسِّرِّيَّة تخالف طبيعة الدين الحنيف؛ ولأن المساجد هي مقار التبليغ، فكان لابد ألا تغلق أبوابها في وجوه أعضاء الجماعة.

قدر المحنة

ويمر عامان ينصهر فيهما الفتى الشاب داخل دعوته، ويبذل أكبر جهده لزرع الدعوة في قرى وأرجاء مصر، يتجول من مسجد إلى مسجد في نظام بديع، وضعه الشيخ المجاهد محمد إلياس، يدعو الناس إلى الخير، ويذكرهم بدينهم، ومعالمه الاجتماعية الراقية.

ولكن تعود المحنة لتطل برأسها، حيث أعلن رأس النظام المصري من موسكو عام 1965 أنه أصدر قراره بالقبض على ستة آلاف من الإخوان المسلمين، وعلت عقيرته وهو يصرخ: هذه المرة لن أرحم.. وتتحرك الكلاب المسعورة تقبض على كل من له صلة ليس بالإخوان ولكن بالإسلام؛ فتقبض على المصلين عند خروجهم من صلاة الفجر!! وتقبض على العلماء الذين يقودون الجمعيات التي تعمل بتصريح حكومي مثل الجمعية الشرعية!! وتقبض على جماعات التبليغ المنتشرة في المساجد تدعو الناس إلى مبادئ الخير.

وفي أحد مساجد حلوان – إحدى ضواحي القاهرة – حيث كان عزت الذي تجاوز الخامسة والعشرين عامًا معتكفًا، استعدادًا للخروج في جولات لدعوة الناس

إلى بيت الله – إذا بالعسكر ينقضون عليه، ليساق هو ومن معه إلى المعتقل، ليسجن ثلاث سنين بلا محاكمة.

والتقى بالإخوان المسلمين

وكان المعتقل بالنسبة لعزت نقطة تحول في أمرين:

الأمر الأول فإنه هناك التقى بالإخوان المسلمين، حيث مدرسة الدعوة الشاملة، التي تأسست بعد سقوط الخلافة؛ لتكون محضنًا لها لتقوم من جديد، فاستمع الشيخ إلى معاني الشمولية، ومراتب العمل، وخطوات التنفيذ، وقدر المحنة. واستوعب أصول الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة.

وعاين بعين اليقين تنفيذ سلفية الدعوة، وسنية الطريق، وحقيقة الصوفية، وشورى السياسة، وقوة البدن ، وارتقاء العلم والثقافة، وشمول الإسلام اقتصاديًا واجتماعيًا، ورأى كيف يؤدي الفرد واجبه حتى في أحلك الأوقات.

ساق القدر **عزت** إلى ما كان يبحث عنه، واستشعر إضاءات على الطريق الذي أحب أن يسير فيه، وتوطدت العلاقة بينه وبين الإخوان وخاصة شيوخهم؛ حتى إنه كان يزورهم في بيوتهم بعد خروجه وخروجهم من السجون أواخر السبعينيات، كما حكى لي الأستاذ **سيد ستيت** – يرحمه الله – خلال زيارة له في بيته بحدائق القبة بالقاهرة.

ومن طرائف هذه الزيارات أنه عندما رزق الله – الأستاذ ستيت – بابنته الأولى وجد **إبراهيم عزت** يطرق بابه بملابسه البيضاء الجميلة، وعمامته الزاهية، وفي يده أكبر بطيخة رآها ستيت في حياته كما أخبرني، وجلس الضيف في حجرة الاستقبال مهنئًا بالمولودة الكريمة، وسأله: ما اسمها يا أستاذي؟ فلما أخبره أخرج من جيبه قلمًا وورقة، وكتب قصيدة جميلة، وعنونها باسم المولودة.. غير أن الأستاذ سيد أخبرني أنه فقدها للأسف!

ومن الحكايات التي حكيت عنه في معتقله حول شدة تمسكه بالسنة، وعدم تنازله عنها: مما كان يسبب بعض العنت في ظروف المعتقل [1]، ما حكاه لي الدكتور **رشاد البيومي** أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم – جامعة القاهرة– وعضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين حاليًّا، أن الشيخ **إبراهيم عزت** ومجموعة التبليغ التي قبض عليها مع من قبض عليهم من المساجد كان عندهم رأي فقهي بعدم التجفيف عقب الوضوء، وكان الجو باردًا جدًّا؛ مما جعلهم يصابون جميعاً بنزلة برد، مكث الإخوان يعالجونهم منها مدة طويلة.

هكذا كان إبراهيم عزت رحمه الله: شابًّا يحمل في قلبه الإسلام والإيمان، والرغبة في العمل، يلتقي بشيوخٍ دَرَّبتهم الحياة، وصقلتهم التجارب والمحن، فخرج معظمهم بفهم أكثر شمولاً، دفع بجماعة التبليغ بعد ذلك لتكون من المحركات الأساسية للصحوة الإسلامية، التي شهدتها الجامعات في منتصف سبعينيات القرن الماضي، **وكان المحرك الأساسي لهذه القفزة هو الشيخ إبراهيم عزت، خطيب جامع أنس بن مالك بعد ذلك**.

والشعر

وكان **الأمر الثاني** الذي يعتبر نقطة تحول في المعتقل هو فيضان ينبوع الشعر الكامن في قلب **عزت**، حتى إن جميع قصائد ديوانه الوحيد الذي نعرضه هنا كتبت بعد – أو خلال – عام **1965** إلا قصيدة واحدة هي قصيدة « **لحظة وصال** » التي كان قد كتبها عام **1960**م.

ونستطيع أن نرصد أن أكثر قصائده كاملة، كتبت عن فترة الاعتقال، مثل قصيدة: « **أمي** » التي تشبه في روحها وفي موسيقاها قصيدة « **رسالة في ليلة التنفيذ** » **لهاشم الرفاعي** رحمهما الله تعالى [2].

(1) ذكر الأستاذ أحمد رائف طرفاً من هذه الحكايات في كتابه « البوابة السوداء ».
(2) راجع الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره، ص 12 .

وفي هذه القصيدة يخاطب **عزت** أمه، داعيًا إياها إلى الصبر، واللجوء إلى الله عز وجل ودعائه، سائلاً إياها أن تعفو وتغفر له ما سببه لها من ألم وقلق، ويعدها بأنه سيتم رسالته في الدعوة إلى الله بعد انجلاء محنته، لينال رضا ربه وشفاعة الرسول ﷺ، وليحقق لأمه النذر الذي نذرته لله؛ إذ ربت ولدها على حب الله تبارك وتعالى، وحب التضحية في سبيله.

قال **عزت** مخاطباً أمه:

ماذا أقول شريكةَ الأحزانِ؟ جودي بفيض العفو والغفرانِ
الشدو آهاتٌ.. وعذبُ معانِ وُلِدَت برغم القيدِ والسجانِ
في غرفة مصفودة الجدرانِ تربو بساحتها رؤىً ومعانِ
عذرًا على الدمع الحبيب ذرفتُه فأضاء منه قصائدي وبياني
فلكم بكَت من أجلِه أغلالُنا ولكم نمَت في ظله أشجاني

وكذلك قصائد: **أبي، صغيرتي، زيارة، فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء، والألم، لا تذكر الحياة، مرثيتي، اليوم عيد، وبعد**[1]**، أزفت، حبيبتي بلادي، هو ذاك.** وهذه ثلاث عشرة قصيدة من قصائد ديوانه الثمانية والعشرين، تسجل تلك المحنة تسجيلاً دقيقًا معبرًا، وتبين أثرها في انطلاق طاقة الشعر لدى عزت.

وانفرجت الشدة

وخرج إبراهيم عزت من معتقله عام 1968م بعد ثلاث سنوات قضاها بلا محاكمة، وقد أضاف إلى عزمه وإيمانه ويقينه الذي زاد بهذه التجربة صقلاً لفكرته الإسلامية بلقائه بالإخوان المسلمين، وتلقيه عنهم ثلاث سنوات. وقد ظهر ذلك الأثر جليًّا من خلال قصائده التي كتبها بعد ذلك.

استمع إلى ندائه في قصيدته « **الله أكبر** »:

(1) أطلق عليها أبو مازن (ملحمة الدعوة) واشتهرت بذلك.

والخطبُ أكبر مِنْ لهوٍ نُقارفه ... والأمرُ أكبر من دعوى نناديها

جِدُّوا لأقدارها؛ فالهزلُ مقبرةٌ ... بها سندفن أحياناً ونبكيها

أنتم وقودٌ لحرب ضلّ صانعها ... يُجَمِّع الكيدَ كي يطوي غوافيها

أبناؤنا طُعمة لليأس نُسْلمهم ... ضلت معالُمهم: من ذا سيجلوها؟

ماذا نقول لربي حين يسألُنا ... عن الشريعة لم (نحمي) معاليها؟

ومن يجيب إذا قال الحبيب لنا ... أذهبتمو سنتي.. والله محييها؟

إن لم نردها لدين الله عاصفةً ... سيَذهب العرضُ بعدَ الأرض نعطيها

سيذهب الدين والدنيا بلا ثمن ... إن لم نقدم دمانا.. كي نزكيها

إنَّا على عهدنا لله.. نحفظه ... حتى نقدم أرواحًا.. ونَشريها

وراجع أيضاً قصائده « **يا رسول الله** » و« **حبيبتي بلادي** » وغيرها.

مسجد أنس بن مالك

وقد ظهر هذا الشمول في فكرته أيضًا في خطبه التي تناول فيها تفسير القرآن الكريم. يقول في تمهيده للحديث عن سورة المطففين، وهي سورة مكية:

« القرآن في مكة قضاياه الأساسية هي قضايا التوحيد واليوم الآخر، والإصرار على صدق الرسول ﷺ، فما بال قرآن مكة يتكلم عن المعاملات، وعما يكون بين الناس من أحوال اقتصادية؟

وكأن هذا الدين العظيم المبارك يُعلم الدنيا كلها أنه ما جاء ليحبس الناس في المساجد، وإنما هذا الدين المبارك جاء ليعلن كلمة الله جل وعلا في كل أمر، وليعلن سيادة الله جل وعلا على أرضه في كل قضية من قضاياها.

الله له أوامر في نواحي الحياة في كل معادلة وفي كل معاملة.

لله سبحانه أمر، وينبغي عليك أن تبحث عن أمر الله في كل شيء من أحوال حياتك؛ حتى تتأسى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

كان الإسلام – وهو في مكة، مستضعفًا في أهله – يعلن أن له السيادة على الدنيا بكل أحوالها؛ فهو يحدث المطففين، ويحدث المتجبرين، ويحدث أصحاب الأموال، ويهدم صروح الظلم، ويبين للناس أن لهذا الدين منهجًا كاملاً ينتظم الحياة من بدايتها إلى نهايتها »[1].

وهكذا انطلق الشيخ إبراهيم عزت يعلن دعوته من فوق منبر الجمعة بخطب تناولت تفسير القرآن الكريم، وقد قص عليَّ من حضر ذلك اليوم من عام 1975 عندما قدم الشيخ صلاح أبو إسماعيل عزت ليخطب الجمعة مكانه في مسجد أنس بن مالك في حي المهندسين فبدأ الشيخ الذي كان سنه حينها 36 سنة خطبته بمقدمته المشهورة التي استمرت معه حتى نهاية حياته[2] ثم انطلق يتحدث عن القرآن ليبدأ أول خطبة من خطبه بتفسير سورة النور بدءاً من قوله تعالى:

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ [النور].

فأخذ بقلوب الناس وعقولهم، وأسرهم بأسلوبه المتدفق الفياض، واستيعابه للقرآن الكريم – حفظاً وفهمًا وتفسيرًا – وشاعريته الرقراقة التي تصدر عنها الكلمات والعبارات. واستمر – يرحمه الله – يخطب في مسجد أنس بن مالك، مفسرًا للقرآن الكريم بالترتيب – بعد سورة النور، حتى سورة الناس – ثم بدأ في تفسير جديد من الفاتحة عملاً؛ بقوله ﷺ، عندما سأله رَجُلٌ: **يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: [الحالُّ المُرْتَحِلُ] قَالَ: وَمَا الحالُّ المُرْتَحِلُ؟ قَالَ: [الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ]**[3].

---

(1) الشيخ إبراهيم عزت حياته، ص26.

(2) بدأنا بها هذا الكتاب.

(3) رواه الترمذي، كتاب (القراءات)، باب (ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

واستمر في تفسيره حتى حدثت أحداث أكتوبر 1981 والتي أوقفت هذا الفيض العظيم عند نهايات سورة النساء. وكم أحزننا - ضمن ما أحزننا وقتها - أن الشيخ عزت لم يتم تفسير القرآن ما بين سورة النساء إلى سورة النور.

وأسأل الله أن يوفقني إلى إخراج هذا العمل الجليل إلى النور، مكتوبًا محققًا موثقًا، حيث أمتلك ثلاثة أرباع هذا التفسير، مسجلاً على شرائط كاسيت [1].

* * *

(1) وأهيب بكل من يمتلك شيئاً من تراث الشيخ أن يتصل بي على بريدي الإليكتروني ليخرج العمل كاملاً إن شاء الله. akramreda@yahoo.com .

obeikandl.com

خطيب الدعوة

استطاع الرئيس محمد أنور السادات الذي حكم مصر من عام 1970 إلى عام 1981 أن يبني لنفسه مكانة في قلوب المصريين بقيادته لحرب رمضان المجيدة، والتي تمت في 6 أكتوبر 1973م، والتي كانت أول نصر على اليهود، بعد أن جرتنا النظم السابقة سواء الملكية منها والثورية إلى هزائم متتالية ونكسات ونكبات.

وعقب هذا الانتصار استشعر المجتمع كله فضل الله عليه، وبدأت عودة جديدة إلى الإيمان؛ بل بدأ الإيمان يصحو في القلوب، متواكبًا مع صحوة إسلامية كبرى اجتاحت العالم الإسلامي؛ لتخرج من جديد تلك المفردات التي كان المسلم ممنوعاً أن يتفوه بها في ظل استعمار عسكري ثم فكري. وامتلأت المساجد بالمصلين، وارتفعت أعلام الكثير من الأئمة.

كنا نجلس عقب صلاة فجر الجمعة في حيرة شديدة: أين نذهب اليوم لصلاة الجمعة؟ فيجيب أحدنا: الشيخ عبد الحميد كشك، ويرد الآخر: الشيخ محمد الغزالي، ويرد ثالث: الشيخ عبد الرشيد صقر.. الشيخ يوسف البدري..الشيخ عبد الصبور شاهين.. والشيخ إبراهيم عزت.. وكان المجتمع كله متوجهًا إلى الخير.

ولازم هذا مرور أكثر من عشرين عامًا على سجن الإخوان المسلمين ، وخروج آخرهم بعد أن أمضى بعض سنوات الاعتقال، بعد انتهاء مدة الحكم عليه. وكانت الصحوة تتميز بإقبال الشباب عليها – وخاصة شباب الجامعات – فانطلق هؤلاء الدعاة كأنهم بالأمس كانوا يرتقون منابر الدعوة، وكأنهم لم تمر عليهم أهوال السنين والسجون. انطلقوا يرشدون الصحوة، ويضبطون الإيقاع على الفهم الشامل للإسلام، وانطلق المجاهد إبراهيم عزت، وكأنه طائر قد لاقى سربه لينضم إليه، فكان الناس لا يفرقون بين دعوة التبليغ ودعوة الإخوان؛ بل كان هو لا يفرق بينهما. وكان له كلمات جميلة استمعنا إليها في محاضراته في جامعة القاهرة، حيث سئل عن الإخوان والتبليغ فقال في بلاغة: التبليغ يوصل الأسلاك إلى البيوت، والإخوان يطلقون

الكهرباء فيها. وكان عزت – رحمه الله – خطيب الدعوة بين عامي 1975م و 1981م.

أحداث مؤسفة

وساقت السياسة السادات – يرحمه الله – إلى عقد معاهدة الصلح والسلام مع إسرائيل. تلك التي اعترض عليها الكثير من فصائل المجتمع، بل معظم الدول العربية وقد أثبتت الأيام صدق اعتراض هؤلاء؛ بما جرته علينا هذه المعاهدة من ويلات. وللأسف لم يستطع السادات أن يستوعب الخلاف، فقد ساهم الإعلام العالمي الموجه من اليهود – إلى جانب صفات الرئيس الشخصية – في أن يتوهم أن مستقبله السياسي كله متوقف على نجاح هذه المؤامرة الاستسلامية.. برغم أن رصيده في قلوب المسلمين كان عاليًا بسبب انتصار رمضان / 6 أكتوبر 1973.

فاستشعر السادات أن من يعارض المعاهدة إنما يعارضه هو شخصيًّا ويهدم كل ماضيه ومستقبله السياسي؛ فهاج وماج، وارتكب بعض الفظائع التي لم يقو الشعب على تحمل عودتها من جديد؛ ففتح المعتقلات التي كان قد أغلقها أول حكمه، وداس على الجرح القديم الذي كاد الشعب أن ينساه.. جرح الاعتقال بلا جريمة، وسب العلماء، حتى قال عن أحدهم « **أهو مرمي في السجن زي الكلب** »، فأثار ذلك حفيظة مجموعة من الشباب، فاغتالته رصاصات يعلم الله من أين أتت! فلا يزال سر اغتيال السادات –رحمه الله– مجهولاً، وقد يكشفه التاريخ يوماً ما.

واضطربت الأحوال، وفرضت الأحكام العرفية، وصدرت قرارات سريعة بإسكات الأصوات جميعًا، حتى أصبحنا نجلس عقب صلاة الفجر نسأل: أين نذهب اليوم لصلاة الجمعة؟ فلا يجيب أحد!

ق والقرآن المجيد

وكان الشيخ إبراهيم عزت مستمرًّا في خُطَبِه في تفسير القرآن، لا يقطعها بأي موضوع آخر، لكنه – ولأول مرة خلال هذه الأحداث – يقطع تفسيره للقرآن بخطب ثلاث خطب متوالية، هي من أروع ما تسمع من خطب الجمعة، أما الأولى

فكانت عقب الاغتيال مباشرة، حيث احتشد الناس في المسجد، يودون سماع إمامهم يعلق على الأحداث، فكان - يرحمه الله - من الذكاء بحيث استطاع ألا يضيف على الفتنة فتنًا، ولا على النار وقودًا؛ فإذا به، وبعد انتهاء مقدمته المشهورة يستفتح باسم الله الرحمن الرحيم، وتنطلق حنجرته الراقية: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [سورة ق].

وانطلق يتلو سورة « ق » حتى أنهاها، والناس في سكون وخشوع، وكأنما يتنزل عليهم القرآن لأول مرة؛ فإذا انتهى من السورة، ووصل إلى آياتها الأخيرة - وقد بدأ خنين البكاء من الحاضرين تأثراً بالقرآن - فإذا به يردد آياتها الأخيرة، ويكررها: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾[سورة ق] [1].

ويهز البكاء الشديد جنبات المسجد، معبرًا عن أسى قلوب يعتصرها الهم والكمد، على ما يصيب الأمة التي كلما استيقظت ظهر لها من يحاول أن يكتم فمها، ويحولها إلى أطياف عبيد.

وفي الخطبة الثانية لم يزد الشيخ على أن دعا دعاء لم يدعه من قبل، تناول فيه كل الأدعية التي وردت في القرآن والسنة المأثورة، وختمه وهو يرفع صوته يشكو إلى الله بدعاء العز بن عبد السلام سلطان العلماء: **اللهم هيئ لأمر أمة حبيبك أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.**

(1) ورد عن أسماء بنت عميس أنها حفظت سورة (ق) من فم رسول الله ﷺ من كثرة ترديده إياها على المنبر.

آخر خطبة

ثم خطب خطبة ثانية قرأ فيها سورة الواقعة، بمثل ما فعل في سورة ق، ثم كانت آخر خطبة ذكر فيها حديث رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان في حواره ﷺ مع جبريل عليه السلام، وكرر فيها أكثر من مرة: « **الإسلام غير متهم في أي قضية** » ذلك عندما كثر الحديث عن الإرهاب والاغتيالات وغيرها، وتسللت بعض الأقلام الحاقدة لتصيب الإسلام نفسه، وتتهمه بما يتهم به بعض أفراده الذين قد يكونون مخطئين.

وأنّ المنبر

وصدر قرار بمنع عزت من الخطابة ضمن من منعوا.. وذلك عام 1981، وقيدت حركته عدة شهور، ثم سمح له بالحركة المحدودة، ولكنه استمر يلقي كلمة يومية عقب صلاة الفجر، يتبعها بقراءة للقرآن الكريم حتى شروق الشمس، في مسجد قريب من بيته في حي المهندسين، فكانت أروع ما استمعنا إليه من رقائق ومواعظ.

الموتة الحسنة.. والخاتمة الصالحة

كان رحمه الله يدعو الله كثيرًا: « **اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتة في بلد حبيبك** ﷺ ».

وأثناء اعتكافنا في أحد المساجد، وفي صلاة التهجد في ليلة من الليالي العشر من شهر رمضان عام 1404 هـ 1983م صاح صائح خلال سكتة من سكتات الإمام: « **لقد مات الشيخ إبراهيم عزت** »..

لم تستطع أرجلنا أن تحملنا، ولم يقو الإمام أن يطيل في صلاته؛ فقد انفجرت القلوب قبل العيون بالبكاء. لقد ملأ هذا الرجل قلوبنا حبًّا من فيض قلبه المحب على طول المدى.

وانتهت الصلاة.. وهدأ البكاء.. وجلسنا نستوضح الأمر.

فقد عقد الشيخ نيته على السفر لأداء العمرة في هذا العام، وليعتكف العشر الأواخر من رمضان في بيت الله الحرام.. وكان ينوي السفر إلى بعض الدول خروجاً للدعوة في سبيل الله.

واتجه الشيخ إلى رحلته عن طريق البحر، وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث الأخير من رمضان، وبعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ إبراهيم عزت، وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وقد بلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا، وتم دفنه في مكة المكرمة، بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفناً في رداء إحرامه.

وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة، حقق الله لعبده إحدى أمنياته، موتة في بلد الحبيب ﷺ، فهل حقق له الأمنية الثانية!!

أسأل الله أن ينزله منازل الشهداء؛ بما قدمه من دعوة وفداء.

د.أكرم رضا

* * *